العلوم

مطالعات رأسنات :

ذكاء القـــردة

للدكتور احمد زكى

وكيل كلية العلوم

نبدأ بالتعريف — حضرتها قردة ، مخلوقة من مخلوقات الله ولا تحقير لخلقه ، ولدت فى ليلة اسودّ أديمها بمقدار ما ابيضّ نجمها ، وغاب نحسها وتراجع بؤسها ، على حين حضر

(عاطفة الامومة فى ميمى)

نعيمها وأقبلت بركتها ، ليلة من تلك الليالى الاستوائية الجميلة فى دَغَل من أدغال الكمرون الفرنسية على الشاطىء الغربى من القارة الافريقية ، وأصبح الصباح ففتحت عينيها ترى وضح النهار لأول مرة ، وأدبر النهار عن ليل ازدهرت نجومه فرفعت عينيها إلى علٍ فى خيفة وخشوع ، كأنما تستخبر عن سر هذه الثقوب فى القبة السوداء ، وانسلخ النهار من الليل ، وانسلخ الليل من النهار ، فأخذت تدرج من مسقط رأسها تتعرف البقعة الكونية التى تحيط بها وهى كل دنياها ، وذات يوم وهى تتفقد الأشجار مع القبيل فى هدوء ، وتدور وراء الأحراج فى بطء ، صرخ صارخ القوم ينذر ، فتجاوبت من كل الأرجاء أصوات النُّذر ، فجرت القردة تطلب النجاة فى أعالى الشجر وسواد الغاب ، وضلّت أمّها وتخلفت عن القافلة فوقعت فى أسر نفر من الصيادين الأمريكان ، جاءوا يرتادون الناحية لدرس حيوانها وطيرها . وكان من هذا النفر أمين من أمناء متحف التاريخ الطبيعى بنيويورك ، فأعجبته القردة الطفلة ، فشاء أن يختص بها ويتبناها على قدر ما تسمح أبوة مثله ببنوة مثلها . فأسماها « ميمى » ، وحملها معه حيثما تنقل معسكره فى تلك البقاع الحارة ، وأبى عليه كرمه والعهد الذى اتخذه أن يضع فى يد « ميمى » كبلا أو يقيم دونها حاجزا . وكانت هى قد آنست من أبيها الجديد رفقاً وكرما وأمومة يقدرها الصغار فى ضعفهم وقلة حيلتهم ، فلم تحاول أن تهرب من المعسكر مرة واحدة . ومضت سنة أو بعضها ، ورجع الأمين عَبْرَ المحيط الى بلده وأخذ صاحبته معه ، ودخل منزله الريفى فى ضاحية من ضواحى نيويورك العظيمة ، فلقيته زوجه وأولاده ، فسروا بالوافد والوافدة الضيفة وأكرموا مثواها .

واليوم ميمى فى منتصف عامها الخامس تزن ٤٦ رطلا ولا تزال تحتفظ بالشىء الكثير من مظاهر الطفولة وبجميع أسنانها الرواضع ، وزادت الى هذه أضراسها الطواحن ، بدأتها

فى السنة الثالثة . وكانت وهى طفلة تحتضن كل من تلقى من معارفها ، أما الآن فهى ترغب عن ذلك كثيرا وتطلب الاستقلال وتود أن تسير وحدها وتتفقد ماحولها بنفسها ، وتختبر الأشياء بيدها وعينها ، الا ان هواها لا يستقر طويلا على شيء واحد . وقد استقام عودها واعتدل قوامها وزادت خطاها ثباتا واتزانا . وكان شعرها يطول الى جانبى رأسها حتى ليهبط دون ذقنها ، أما الآن فقد قصر قصراً كبيرا . وكان جلد يديها ورجليها ووجهها قاتما فأخذ يتبقع بالسواد ، وكانت صورتها الشمسية تخرج بيضاء وهى تخرج اليوم سوداء

ومهما كان التغير فى جسمها كبيرا فان التغير فى عقلها وادراكها اكبر ، فهى تستطيع الآن ان تسلى أصدقاءها بما تصنع ، وتحبسهم اليها الساعة والساعتين وهم مغتبطون ؛ وهى كذلك مغتبطة ، كأنها تحس أنها بذلك تقيم الدليل على ان معشر الشيمبانزى لهم من الفطرة والذكاء حظ لا يقصر كثيرا عن حظ الانسان منهما

ميمى تقرب الثمرة بعود فى يدها . وبعد استخدام مثل هذه الرافعة وغيرها من الآلات من مبادىء مظاهر الذكاء الانسانى

كانت فى أفريقيا لا تعرف القيد ، ولكن بارتحالها عن تلك الأراضى الواسعة الطلقة ، وبنزولها فى باحة المدنيـــة كثيرة الحدود ، كثيرة الفروض ، كثيرة القيود أصبح لا بد لها من القيد . فكان فى أول الأمر من الكتمان ، ولكن التجربة دلت على قلة غنائه لان ميمى كانت تطلق نفسها منه بالشد والعض ، فابدل بسلسلة من الحديد من سلاسل الكلاب المعروفة وهذه لم تكن بأكثر كفاية ، فما لبثت ميمى أن فطنت الى أن الشد الأقوى يفتح حلقاتها . فزاد سيدها الجديد سمكا . فاتجه نظر صاحبتنا الى الطوق ، وكان تارة من حبل معقود وتارة من جلد مشدود ، أما الحبل فقد عرفت بالمران كيف ترخي عُقَده ثم تتبع ذلك بعضه حتى ينقطع ، وأما الجلد فعرفت بالتجربة المتدة أن الريق يليّنه فكانت تبله وتشده وتمططه حتى يتسع فتخرج رأسها منه

وأفادها ذلك التفنن فى حل العُقَد حتى برعت فى أساليبه . ربطوها الى حبل طويل ، وربطوا الحبل الى سارية وعقدوه عندها عقداً كثيرة ، ثم أطالوه بعد السارية الى حيث لا يهتدى الى طرفه الآخر . نظرت الى العقدة الأولى فى تأمل ولم تلبث أن هجمت عليها بأسنانها ويديها فأوسعتها سعة كبيرة ثم نفذت بجسمها منها رويداً رويداً . وأخذت تنظر الى العقدة الثانية فى تأمل جديد لم يطل كثيراً وفعلت بها كفعلتها الأولى ، وهكذا حتى انحلت العقد جميعها عن السارية . ولما أعادوا عقد الحبل حول السارية أعادت ميمى حله فى نصف دقيقة وهى فى غبطة من ذلك كبيرة وسرور بيّن ، والنظارة فى مثل سرورها وغبطتها

وحاولت مرارا ان تعقد عقدة فى حبل بنفسها ، وتمخضت فى ذلك مرات ، الا أن طريقتها الى ذلك كان يعوزها التهذيب فقد كان فيها التواء وتنكب عن المقصد الأتم والغرض القريب . فكانت فى ذلك كالطفل الانسانى يبلغ ما يريد ولكن فى قليل من الرشاقة واللباقة

وميمى على صغرها قوية شديدة ، فانى الشمبانزى عند استكمال نمائها تعدل فى القوة من الرجال الأشداء الثلاثة والاربعة . وصاحبتنا بلغت الثلث من نمائها الكامل ، وفى انتزعها دقة ، وفى طباعها رفق ، قد يخدعانك فى تقدير قوتها . جاء الشتاء فاحتيسوها فى صندوق من الخشب المتين فأخذت تهز حيطانه فى طلب الرياضة لبدنها ، وأعجبها صوته على أرض البدروم فزادت فى هزه بكل حولها ، فكان لا بد من تعزيز

جوانبه ، فلما لم ينفع ذلك علقوا الصندوق من السقف بسلسلة فأخذت تؤرجحه حتى دنا من مصباح الكهرباء المعلق فأخذت به ، فكان لابد من استدعاء الكهربائى لنقل موضعه . ونظرت فأبصرت عداد الغاز فزادت فى التأرجح حتى بلغت الحائط وأمسكت بالخزان فخلعته على مهلته وثنت الانبوب ، وكان الى جانبه نار موقدة فخالت العناية دون انثقابه . ولما أعجزتها حوائط الصندوق أخذت تدفع سقفه حتى انفتح ففرت منه . وأرادت ربة الدار أن تتلفن الى زوجها ولكن ميمى كانت قد عمدت الى التلفون فانتزعت أسلاكه ، وجاءت الى سيدتها تحتضنها اغتباطا وشكرا على انفكاكها . وذهبت الى المطبخ فوجدت الخادم تغسل الصحون فأرادت عونها وتثقلت

(ميمى فى يوم صائف)

بينها برفق غريب فلم تكسر منها شيء . وكان التليفون أثناء ذلك قد أصلح فجاء رب البيت أمين المتحف على عجل يخطب رضاء ميمى وأطعمها ألوانا مستطابة رضيت بعدها ان تنقاد وتقيد بعد انطلاق

وكان لرب الدار أطفال ، وكانت لهم دراجات من ذات العجلات الثلاث يركبونها فى ساحة البيت ، فكانت ميمى تركب مع أحدهم وتمسك بمقابض الدراجة فتوجهها يمنة ويسرة . وأرادت أن تركب الدراجة وحدها ولكن قصرت رجلاها عن بلوغ مواطىء الأقدام منها ، فاشترى لها رب الدار دراجة على قدها وأجلسها عليها فأمسكت مقابضها بيديها وأمسكت كذلك مواطئها برجليها ، وهما كاليدين يقبضان على الأشياء ، ولكنها لم تدر فى بادىء الأمر كيف تدفع الدراجة بضغط موطىء واحد دون الآخر فى الآن الواحد ، ولكنها بالمران اليسير عرفت ذلك . وكانت تنسى فترفع قدميها الى المقبضين فكان لابد من ربطهما الى الموطئين ، ولكنها عافت ذلك فكانت تهوى باليد اليهما لتحل الرباط فيصيح بها رب الدار عاتبا فتقلع . وأراد أن يعوّدها الاستقامة فى السير ، فكان يحمل فى يده خوخة أو عنبة أو طعاما تراه مختارا ويقف به بعيدا ثم يلوّح لها به وهى على الدراجة ، فكانت فى بادىء الأمر تنزل عنها فيعتب عليها فتعود الى الركوب ، وكان همها أن تصل الى الفاكهة من أقرب طريق فاستقام سيرها وكذلك طال . وأراد أن يعلمها كيف تنعطف فكان يلوّح لها بالثمرة حتى اذا قاربته انزاح يمينا فتمر بدراجتها فى استقامة الى جانبه فلا تنال الثمرة فتصرخ وتدمدم لهذا الخداع ، ولم تفطن الى تحريك المقابض الى اليمين . فأتى بابنه يحركها فما فعرفت ذلك ، وحرصت على القوت الشهى المغرى فتعلمت كيف تميل

وكانت أحيانا يفوتها أن تنعطف فتصل بدراجتها الى مأزق كحائط أو ركن فتمد رجلها تدفع الحائط فتبعد عنها قليلا ، ثم تُسيّر الدراجة الى الأمام وهى تنعطف حتى تصل الى موضع أخلص من الحائط ، فتدفعها مرة أخرى فتبعد عنها وهكذا حتى تخلص من المأزق تماما وقد نفد صبرها . ولكنها تعلمت أن تنزل عن الدراجة فتحملها الى الخلاص ، فكانت تفعل ذلك فى سرعة البرق كلما تأزقت وهى غاضبة

وكان يجتمع أطفال الجيران على دراجاتهم ويسيرون بها فى الطريق صفا يحملون الاعلام ويزأطون ويفرحون ، فتتقدمهم ميمى على دراجتها تتعرّف لهم المسالك وهى مثلهم

زائطة فرحة مغتبطة حتى لتحسبها منهم لولا مظهرها

وكان أمين المتحف يصطحبها معه الى مقر عمله فى سيارته فكانت تتشبث باصطحاب دراجتها فلا تنزل عند باب المتحف حتى تخف اليها فتركبها داخل المتحف . وكان من غرائبها انها كلما وصلت الى طبق الحديد الذى يغطى انابيب المجارى بأرض المتحف تترجل حتما وتجر دراجتها عليه ثم تركبها بعد تخطيه معانه فى استواء الأرض لايحسه الراكب. وظهر منها هذا الشذوذ عينه لما سارت فى الطابق الأعلى فانها كانت كلما صادفت فى بلاط الارض صفا أسود تخطته راجلة

(ميمى على المائدة)

وكانت تأكل مع صاحبها فى مطعم المتحف ظهرا فتسير اليه بالدراجة وتذهب الى مكانها دون تاكع فيهيجها صوت الآكلين وقرع الصحون وشميم الاطبخة فتصرخ فيتهج لصراخها أصدقاؤها الكثيرون من حولها . وتدور بعينيها تطالب حاملات الطعام فاذا بصرت بهن هزت جسمها سرورا وتلفظت بالرضاء فاذا استقر الطعام أمامها رفعت شوكة أو ملعقة من ذات نفسها ، وقد تخطىء فترفعها بيسارها فتنقلها الى يمينها ولكن بعد امساكها بفمها . وهى تأكل البسائط ، فتأكل الخبز والزبد واللبن والبطاطس والسبانخ والفول الأخضر والخس والطماطم والفواكه وشيئا من اللحم أحيانا ، واختصارا كل ما كان يأكله الناس . وهى تحب الحلوى كائنة ما كانت ساخنة أو مثلوجة

واذا انتهت من الطعام بسطت منديلها فمسحت به وجهها

وتشرفت ميمى بدعوة من رئيس المتحف الأمريكى العام للتاريخ الطبيعى فى وليمة رسمية كبرى ، فذهبت فى سيارة الى بؤرة المدينة لأول مرة ، فاخترقت الطرقات العظيمة على أضوائها الشديدة وزينات مسارحها الباهرة ، فى جو ملىء بنغم الاوتار ونفخ المزمار وأدخنة السجائر والسيجار وأبواق السيارات وضجيج الحجيج من أهل اللباس الأنيق والزى الرشيق والذوق الرفيع . فأهاجت ميمى كل تلك المظاهر لاشك ، ولكنها صمتت كأنما تفكر فى موطنها الافريقى . وجاء أوان النزول من السيارة فخفت ميمى الى دراجتها وسارت بها عبر البهو الى قاعة الطعام الكبرى فاتخذت مجلسها بين الضيوف ، وجاءتها الصحفة بعد الصحفة ، فأكلت بأدب من كل لون . وجاء دور الكلام فأصغت كأنها تستمع للخطباء فلم تنبس بكلمة ولم تطرف بعين الا عند ما جاء المصورون يصورونها على ضوء المغنسيوم فانها أخذت تطرف لكل صورة حتى استموا عشرا . وانتصف الليل فانفض الجمع وهم معجبون بميمى . وقال قائل منهم ما الى هذا الحد يبلغ الأطفال من الأدب والكمال

احمد زكى

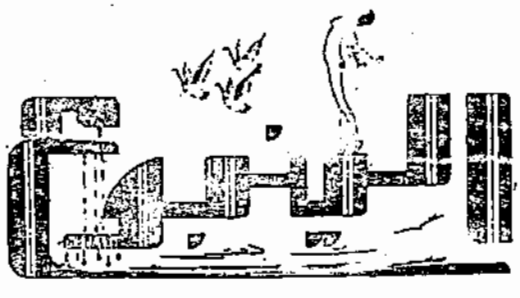

ديوان ابى شادى الجديد

يطلب من المكاتب الشهيرة ومن ادارة مجلة (أبولو) بالسيدة زينب بالقاهرة . ثمن النسخة مائة مليم خلاف البريد .